نحو وعي إسلامي (٤)

دراسة للسيرة النبوية

من خلال الأدعية المأثورة المروية

أبو الحسن الندوي

المختار الإسلامي

www.abulhasanalinadwi.org

دراسة للسيرة النبوية
من خلال الأدعية المأثورة المروية

أبو الحسن الندوى

المختار الاسلامى
للطباعة والنشر والتوزيع
ص . ب ١٧٠٧ القاهرة

www.abulhasanalinadwi.org

مكتبة العلامة عبد الحي الحسني
دار عرفات راي بريلي يوپي

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

ابراز لجوانب فى السيرة النبوية المحمدية ، ومظاهر الاعجاز والالهام فيها ، مؤسسا على الدعاء والمناجاة لله تعالى الصحيحة الثابتة عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، واستعراض جوانب خلقية نفيسة ، واجتماعية وأدبية ، فى أدعية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

www.abulhasanalinadwi.org

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على افضل الداعين وسيد المنيبين : محمد وآله وصحبه اجمعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد ، فهذه عجالة تناول فيها الكاتب جانبا من جوانب السيرة النبوية المحمدية ، بالتأمل والدراسة ، والتحليل والاستعراض ، له اتصال وثيق بالسيرة ، قد فاتت كثيرا من المؤلفين فى موضوع السيرة العناية به ، والتوسع فيه ، وافراد البحث عنه ، وكان هذا الحديث فى اطار مقال كتب على طلب من احدى المجلات الاسلامية (١) فى أردو ، والحاح رئيس تحريرها وقد حاز هذا المقال اعجاب القراء والمعنيين بالسيرة المحمدية ، فنشر فى رسالة مفردة أعيد طبعها مرارا ،

(١) وهى مجلة « فاران » الصادرة من كراتشى ، رئيس تحريرها الاستاذ ماهر القادرى .

ونقله الى اللغة العربية الأخ العزيز نور عالم الأمينى الندوى أستاذ دار العلوم ندوة العلماء ، لكهنؤ ـ الهند ونشر فى مجلة « البعث الاسلامى » ومجلة « الأزهر » والى القراء ترجمته العربية كاملة .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

دائرة الشيخ علم الله الحسنى ، رائى بريلى ـ الهند

٦\شوال ١٣٩٧ هـ

٢١\سبتمبر ١٩٧٧ م

www.abulhasanalinadwi.org

الفضائل النبوية لها فرعان :

يمكن أن نقسم الفضائل النبوية التى توفرت فى شخصية النبى الكريم صلى الله عليه وسلم على قسمين « العبودية الكاملة » و « النبوة الجامعة » .

الدعاء والدعوة :

الدعاء هو مظهر العبودية كما أن مظهر النبوة هو الدعوة ، وكلاهما من أهم وأبرز عناوين السيرة المحمدية ، وناحيتان متفردتان ، وفصلان مستقلان لهذه الصحيفة المعجزة ، أما الدعوة فقد وقع عليها نظر كل دارس ، ولفتت عناية كل باحث ، وزخرت الكتب والمؤلفات بتفاصيلها ، وتنور العالم كله بأنوارها ، ولا يزال يتمتع بآثارها وثمارها ، وذلك لأن الدعوة تتعلق بالمشاهد والمجالس ، فشهدها كل انسان جلية واضحة أما الدعاء فقد قل عدد من تأمل فيما يحمله من الأهمية من بين جوانب السيرة ، وما كان نصيبه من التأثير فى الدعوة النبوية نفسها ، والى أى حد من الأوج والكمال انتهى النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الناحية للعبودية والخضوع التام أمام الرب ، وكيف قام باحياء هذه الناحية الهامة وانمائها وريها وسقيها — وقد كانت ضائعة مهملة كجميع نواحى العبادة والعبودية — ولم يلحق برفيقه الأعلى الا بعد ما قام بتكميلها وتعميمها .

ضعف الصلة بين العبد والمعبود فى الجاهلية :

. كل من درس تاريخ العقائد والديانات دراسة عميقة شاملة ، وأحاط به فى معنى الكلمة عرف جيدا : أن الصلة بين العبد والمعبود فى هذا العهد — الذى تسمى بالجاهلية — قد ضعفت واضمحلت ، حتى نضب معين الدعاء — الذى ينبع من اليقين والحب والخشوع والخشية — فى داخل النفوس البشرية ، وقد تعلق العبد — فيما يتعلق بنفسه وبالمعبود معا — بأوهام وأخيلة كان معها من المستحيل أن تتحرك فى النفوس عاطفة الدعاء ، وتشعر بالحاجة اليها ، فان الدعاء لا يكاد يصدر حتى يتمكن العبد من الايمان بالذى يحقق جميع متطلباته وحاجاته ، ثم من اليقين بأنه مليك مقتدر على كل شىء ، ثم من الثقة بأنه لا ملجأ الا اليه ، ولا معطى الا هو ، وبالتالى من الايمان بأنه يحب الاعطاء ، وأن المحبة والرحمة ، والجود والسخاء والكرم والعطاء ، من أهم صفاته وأكرم أخلاقه ، ويفرح — عز وجل بالاعطاء فرحا لا يفرحه أحد بالأخذ والقبول ثم من التأكد أن العبد احتياج فى احتياج ، وسؤال فى سؤال ، وفقر فى فقر ، وأن المعبود أقرب الى العبد بأكثر مما يتصور ، من كل شىء فى الكون ، حتى من نفسه ، بل انه أقرب اليه من حبل الوريد ، يجيب دعوة الداعى اذا دعاه ، ويقبل على نصره اذا ما استنصره ، ويؤتى سؤله ، ويقضى حاجته ، ويفرج كربته .

www.abulhasanalinadwi.org

نفى الصفات وأثره فى النفوس البشرية :

ان نظرة عابرة على التاريخ الجاهلى كفيلة بالدلالة على ما لقيه كل يقين هناك من تزعزع واضمحلال ، وكم ثارت حول الحقائق من الشكوك والشبهات ، وكم خيمت عليها من الأوهام والمغالطات ؟ أما الفلسفة الاغريقية فبفضل ابائها الشديد لصفات « واجب الوجود » أو « المبدء الأول » وتأكيدها على تجريده من كل وصف ، واصرارها الأكيد على اثبات الذات المجردة من كل وصف ، وايمانها بذلك ايمانا لا تشوبه شائبة من الشك ، قد سدت باب الدعاء والالتجاء ، وقطعت كل خيط من الأمل والرجاء ، فما معنى السؤال والاستغاثة ــ يا ترى ــ بمن تجرد من كل صفة، وتخلى من كل قوة ، وفرغ من كل كمال ؟! والذى لا دخل له فى أى شأن من شئون الكون وفى أى أمر من أموره ، وقد تعطل بعد ما خلق « العقل الأول » . و « الواحد » الذى لا يمكن أن يصدر عنه الا « واحد » ، وقد انتهى هذا الصدور ــ فيما تعتقده الفلسفة اليونانية القديمة ــ فكيف يصح الأمل فى صدور الأعمال عنه متتابعة فى كل حين وآن ؟

عقيدة الشرك والوثنية تمنعان عن الدعاء :

وبالعكس من ذلك كانت الوثنية والعقيدة الجاهلية قد خلعتا كل صفة من صفات الاله على أشخاص ممن خلق ، فهذا يحمل القدرة على الاحياء ، وذاك يقدر

على الرزق ، وهذا علمه محيط ، فأصبح له كل غيب كالشهود ، وذاك يستطيع أن يصل متى شاء الى من شاء وهكذا فهل كان هناك رجاء فى السؤال ــ والحال على هذا المنوال ــ من « الاله الواحد » والالتجاء والرجوع اليه ؟ ولاسيما اذا كان هذا الاله ما وراء الرؤية ، وما فوق الادراك ، على حين كانت الآلهة « المحلية » مشهودة محسوسة ، وفى متناول اليد ، ولا يعزبن عن البال أن الصفات والأعمال الالهية قد أصبحت هناك فى طى النسيان ، وضمير الغيب ، لاتكاد تذكر ، على حين كانت النوادى والمجالس عامرة بذكر مآثر « الآلهة الكثيرة » واعمالها الجليلة ، وكانت القلوب والأذهان مأخوذة بمكارمها النبيلة وصنائعها المجيدة « فالوضع الذهنى والفكرى » الذى صوره القرآن الكريم كان نتيجة حتمية منطقية لهذه البيئة :

« واذا ذكر الله وحده ، اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه ، اذا هم يستبشرون » (١) .

الفلسفة اليونانية والعقيدة الجاهلية وأثرهما :

على كل فالفلسفة اليونانية ــ بتأثير موقفها الذى وقفته من الصفات ــ قد قفلت كل باب من أبواب

---

(١) سورة الزمر الآية : ٤٥

www.abulhasanalinadwi.org

الدعاء والالتجاء ، كما أن عقيدة الشرك ـ بحكم اسباغها للاوصاف والكمالات الالهية على الخلق ـ قد اتجهت بكل ما تنطوى عليه كلمات الدعاء والتضرع والسؤال من الخالق الى المخلوق ، وغيرت اتجاهها من العابد الى المعبود ، فكلتاهما ـ الفلسفة اليونانية وعقيدة الشرك ـ ادتا الى نتيجة واحدة موضوعية ، وهى أن أصبح السؤال من الله ـ الخالق ـ مباشرة ، والالتجاء اليه ، والاطراح على عتبته دون وساطة ، من المعانى التى لا تدرك ، والغايات التى لا تقصد ، ولذلك فلا تجد فى هذه الفترة حتى أشخاصا معدودين ، متعودين على الدعاء ، عارفين الطريق الى الالتجاء ، مرتاحين اليه بألسنتهم وضمائرهم وقلوبهم .

فضل الرسول صلى الله عليه وسلم على الانسانية :

ومن فضل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فدته أنفسنا وأرواحنا ـ أنه أعاد الى الانسانية المحرومة ثروتها المفقودة ـ الدعاء ـ وجعل العبد يتشرف بالمناجاة مع ربه ، والتكلم معه فكأنه أعاد اليه لذة العبادة ، بل ولذة الحياة وشرفها وكرامتها ، وأتاح للانسانية المطرودة أن تتشرف باللقاء ، وتتمتع بالحضور والاجتماع، وعاد ابن آدم الآبق من ربه الى عتبة ربه معتذرا ، يقول بلسان حاله :

الهى عبدك العاصى أتاكا مقرا بالذنوب وقد دعاكا

عامل من عوامل الحرمان من الدعاء :

كانت من عوامل الحرمان الكبرى من الدعاء هى فكرة الجاهلية الخاطئة : أن الله بعيد عنا ، فكيف يصل اليه صوتنا ؟ فأعلن النبى صلى الله عليه وسلم من قبل الله ، وبشر العبد : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان » (١) .

النافع والضار الحقيقى :

وكانت العقيدة الثانية الفاسدة : أن هناك من غير الله من يملك النفع والضر ، ويقدر على الاعانة والاغاثة ، ومن جناية هذه العقيدة أنها حولت اتجاه الدعاء والاستغاثة والاستنجاد بالنافع والضار الحقيقى الى الآلهة « المساعدين » فأعلن النبى صلى الله عليه وسلم بكل قوة وصراحة هذا الاعلان الذى وجه اليه مباشرة :

« قل : يا أيها الناس ! ان كنتم فى شك من دينى ، فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم ، وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقم وجهك للدين حنيفا ، ولا تكونن من المشركين ، ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ، فان فعلت فانك اذا من الظالمين ، وان يمسك بضر فلا كاشف له الا هو

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٦ .

www.abulhasanalinadwi.org

وان يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده ، وهو الغفور الرحيم » (١) .

للدعاء شأن أى شأن :

ولم يصرح النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ بأن العبد يستطيع أن يدعو معبوده ، والمعبود يجيب دعوته فينصره ، لم يصرح بذلك فحسب ، بل واثبت كذلك أن الدعاء مطالب به من الله ، ويسبب رضاه ، ويجلب سروره ، كما أن الاضراب عنه يسبب سخطه وغضبه ، والدعاء أبرز مظاهر العبودية ، وأوضح عناوينها ، وأعمقها أثرا ، والاعراض عن الدعاء دلالة على الاستكبار والعصيان والطغيان ، وقد أدى اعلان النبى صلى الله عليه وسلم بالدعاء الى ما أدى ، فانتهى به من أعمال العبادة الاجبارية الى مكانة العبادة العظمى ، ووسائل التقرب الكبرى :

« وقال : ربكم ادعونى أستجب لكم ، ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين » (٢).

وتدل أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم صريح الدلالة على أن عدم الدعاء والالتجاء الى الله ليس من

(١) سورة يونس ، الآيتان : ١٠٦ ــ ١٠٧ .
(٢) سورة المؤمن ، الآية : ٦٠ .

عوامل الشقاء والحرمان فحسب ، بل وهو يجلب سخط الله وغضبه ، فيقول الحديث :

« من لم يسأل الله يغضب عليه (١) » ولم يكتف بذلك ، فجعل الدعاء مخ العبادة ، وقال : « الدعاء مخ العبادة (٢) وجعله مفتاح الرحمة والبركة ، فقال : « من فتح له منكم أبواب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة » (٣) .

الأدعية المأثورة دلائل مستقلة على النبوة :

ولم تكتف النبوة المحمدية ــ على صاحبها الصلاة والسلام ــ بهذا التجديد فى الدعاء ، ولم تقتصر على هذا القدر من التكميل فى بابه ، بل تخطته، فبينما علمنا النبى الدعاء اذا هو جعل مكتبات العالم الأدبية تزخر وتموج ، فعادت تفيض بالجواهر واليواقيت التى عيت آداب العالم ــ على غناها ــ عن أن تقدم نظيرها فى لمعانها ، وصفائها وبهائها ، اللهم الا بعض الصحف السماوية والكتب المنزلة ، فقد دعا ربه بكلمات وألفاظ لم يستطع أحد ــ ولن يستطيع ــ أن يأتى بأكثر منها

(١) البزار فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه .
(٢) رواه الترمذى عن انس رضى الله عنه .
(٣) رواه الترمذى والحاكم مرويا عن ابن عمر رضى الله عنهما .

www.abulhasanalinadwi.org

تأثيرا وبلاغة ، وأحسن منها اعتدالا واتزانا ، ومن ثم فهذه الأدعية دليل مستقل من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ، ومعجزة ذاتية كمعجزاته الأخرى الكثيرة ، وانها ـ بنفس الوقت ـ تدل دلالة صارخة على أنها انما جرت على لسان رسول من رسل الله ، فيشع منها نور النبوة ، ويتجلى فيها يقين الأنبياء ، وتمتزجها عبودية « العبد الكامل » وتواضعه ، ويتجلى فيها اعتماد حبيب رب العالمين وثقته ، ولاله وغناجه ، وتسرى فيها طبيعة النبوة مع بساطتها وعفتها ، وتجمع بين بساطة القلب المتألم وانكساره ، والحاح ذى الحاجة وقلقه واضطراره وحزم من يقف على آداب العتبة الالهية والبلاط القدسى وأدبه ، والاعتماد على مواساة المواسى واغاثته ، وبين اظهار الألم واعلان الواقع الصادق ، كما قال الشاعر الفارسى :

« رب قد أصبتنى بالألم ، فواسيتنى أنت ، واحتضنتنى أنت بالعطف والحنان وعالجتنى أنت بنفسك .

قيمة الدعاء الأدبية :

ان هذه الأدعية المأثورة تحتل ـ بالاضافة الى قيمتها الروحية وحقيقتها المعنوية ـ أعلى مكانة ادبية وأرفعها ، وانها درر الأدب اليتيمة ، وآثاره النادرة الخالدة التى ينقطع نظيرها فى المكتبات الأدبية البشرية بأسرها .

هناك رسائل شخصية قد نالت من نقاد الأدب مكانة كبيرة ، لأنها تحمل سذاجة، وتتنزه عن التصنع ، وتعبر عن عواطف القلب تعبيرا صادقا ، بيد انه قد فاتهم أن يدركوا أن هناك نوعا من الأدب يحمل من السذاجة والحقيقة ما لا تحمله الرسائل والكتابات ، وتصبح هناك المصطلحات اللغويةبأنواعها هباء منثورا حينما يصب فيها المتكلم عصارة قلبه ، ويعبر لسانه عن القلب بأصح ما يكون وأصدق ما يتصور ، ويستغنى المتكلم عن الترحيب والتحبيذ ، والاشادة والتقدير ، ولا يحسب حسابا للسامع ، بل يخاطب قلبه، ويتناجى مع مشاعره ، ويتحدث مع عواطفه ، وهذا النوع من الأدب الرفيع هو « الدعاء » و « المناجاة » .

الاخلاص والصدق والواقعية منأهم عناصر الأدب :

ان من أهم عناصر الأدب هما الاخلاص والصدق ـ اللذان ظل يتغافل عنهما معظم نقاد الأدب ، واللذان يهبان الأدب روحا وقوة وحيوية ، ويجعلانه حقيقة أبدية خالدة ـ وقد اتسم « الدعاء » و « المناجاة » بهذين العنصرين ما لم يتسم ـ ولا يمكن أن يتسم ـ به أى نوع من أنواع الأدب ، فكيف اذا كان الداعى والمناجى رقيق القلب وجريح الكبد ؟ وله كل نصيبه من القدرة على التعبير عن المه بأنواع الأساليب ؛ فتكون الكلمات الصادرة عن لسانه معجزة من الأدب ، فانها أفلاذ كبده ، وقطع قلبه ،ودموع عينيه ، فتملك

www.abulhasanalinadwi.org

القلوب ، وتبكي آلاف البشر قرونا طوالا ! أما اذا كانت هذه الكلمات قد جرت على لسان تكرر عليه الوحي الالهي ، وامتلك ناصية البلاغة وعنان الفصاحة ، فلا تسأل عن تأثيرها واعجازها !

الدعاء الذى دعاه النبى صلى الله عليه وسلم فى الطائف :

تعالوا نلق نظرة على الأدعية التى اثرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دواوين الأحاديث وكتب التاريخ والسير ،ولننظر : هل يستطيع أحدنا ـ مهما بلغ من تضلعه من الأدب ، وبراعته فى الفنون الأدبية والأساليب البيانية ـ أن يأتى ـ وهو يريد أن يبدى عجزه وضعفه ، ويصور فقره واحتياجه ، ويستجلب رحمة ربه ، ويستمطر سحابة كرمه ـ بكلمات أشد منها تأثيرا ، وأدق منها دلالة على المعانى ، وأكثر منها قلة فى المبانى ، وأحسن مثها وقعا فى النفوس وجذبا للقلوب وسحرا للاذهان والعقول .

تصور سفره صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، وما يحفه ، وأرسل النظر الى قلب المسافر المتكسر ، وقدميه المتضرجتين بالدم ، واقرأ فى هذه البيئة الظالمة الخانقة .

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، رب المستضعفين ! الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ، أو الى عدو ملكته أمرى ، ان لم

يكن بك على غضب فلا أبالى ، غير أن عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن يحل بى غضبك أو ينزل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك» (١) .

افهل تستطيع ان تأتى ـ وقد تكيفت نفسك بهذه الكيفية العجيبة ـ بكلمات أحسن منها وأوقع ؟ او هل تقدر مكتبات العالم الأدبية الفنية على أن تسعفك بألفاظ أكثر منها رشاقة ، وأحسن منها صياغة ؟!

الدعاء الذى دعاه فى ميدان عرفات:

وتصور كذلك ميدان « عرفات » ، وما حواه من مائة وعشرين ألفا من الداعين المبتهلين والخاشعين المنصتين ، وهو يدوى بأصداء « اللهم لبيك ، اللهم لبيك » ويتجاوب مع أدعية الحجاج الكرام ، وقد تجلت فيه صمدية الأحد الصمد ، وعظمته وجبروته ، ترى فى هذا الحشد العظيم الكريم « رجلا » ، حاسرا عن راسه ، لابسا احرامه ـ فداه ابى وأمى ـ يحمل على عاتقه مسئولية البشرية جمعاء ، ويشاهد عظمة الاله وكبرياءه أكثر من كل من يستطيع هذه المشاهدة ،

---

(١) جاء هذا الدعاء فى تاريخ الطبرى بهذه الالفاظ ، وقد اخرجه صاحب « كنز العمال » بتغيير يسير .

www.abulhasanalinadwi.org

ويطلع على عجز الانسان وضعفه وعيه أكثر من كل من يقدر على هذا الاطلاع ، فى هذا الجو المهيب ، يدوى بصوته الأرجاء ، فيسمعه السامعون :

« اللهم ! انك تسمع كلامى ، وترى مكانى ، وتعلم سرى وعلانيتى ، لا يخفى عليك شىء من أمرى ، وانا البائس الفقير ، المستغيث المستجير ، الوجل المشفق ، المقر المعترف بذنبى ، أسالك مسألة المسكين ، وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، فاضت لك عبرته ، وذل لك جسمه ، ورغم لك أنفه ، اللهم ! لا تجعلنى بدعائك شقيا ، وكن رؤوفا رحيما ، يا خير المسئولين ويا خير المعطين ! » (١) .

أفهل يستطيع الانسان أن يجد ـ لكى يعبر عن كبرياء الله وعظمته ، ويعترف بعجزه وضعفه ، وفقره واحتياجه وقلة حيلته وهوانه ، ويثير رحمة ربه ، ويستجلب كرمه ـ كلمات أكثر منها وقعا ، وأغنى منها اخلاصا ، وأشد منها جذبا للنفوس ونفوذا فى القلوب أو هل يستطيع أحدنا أن يصور كيفية قلبه ، وعجزه ومسكنته ، بأحسن من ذلك وأدق منه ، وأيم الله ان هذه الكلمات لكفيلة باثارة سحابة كرم الكريم الحقيقى، وكلما تكررها الأذهان ويجرى بها اللسان تفيض العيون دموعا ، وتتراءى الرحمة الالهية مقبلة ، فألف ألف

(١) « كنز العمال » مرويا عن ابن عباس رضى الله عنهما .

صلاة وسلام على رحمة للعالمين وسيد المعلمين ، اذ أنه علم أمته هذه الأدعية الرائعة ذات الأثر البالغ والصياغة الدقيقة ، وعرفنا كيف نقرع « باب الرحمة » اللهم صل وسلم عليه وعلى عترته بعدد كل معلوم لك .

الاعتراف بعجزه وضعفه :

ولكى يستميل الانسان ، الملك المقتدر ، القوى الغنى ، القادر المطلق ، السلطان العادل ، ويستجلب رحمته وعطفه وحنانه ، لا سبيل الى ذلك الا بالاعتراف بعجزه وضعفه ، وعبوديته ونقصه ، بأحسن ما يكون الاعتراف بأنه عبد الملك كابرا عن كابر ، وجيل بعد جيل ، فهو مملوك بن مملوك الخ ، وهو متسول على باب السلطان القديم ، وربيب هذا النعيم العميم ، والسلطان يملك نفسه وماله ، وكل شىء بيده ، اذا فمن يرحم عبده ويواسيه من بعده ، فلننظر : هل يمكن أحدا أن يأتى بهذه المقدمة « اللازمة » بأحسن مما أتى به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه فيفيض لسانه بما يلى :

« اللهم ! انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل

www.abulhasanalinadwi.org

القرآن العظيم ربيع قلبى ، ونور بصرى ، وجلاء حزنى وذهاب همى » (١) .

التمثيل الصادق الجامع للحوائج البشرية :

ان حاجات الانسان لايأتى عليها الحصر، واختيارها صعب ، واستقصاؤها أشق ، اذا فأى حاجة يسألها وأى حاجة يتركها ، شيء فى منتهى الصعوبة ، وغاية الحرج .

ولننظر فى حاجاتنا ، لو اتيح لنا فرصة سؤالها واستشباعها ، لتواجهنا الصعوبة ويعقبها التلهف والأسف ، فانظر كيف عبر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن حاجيات الانسان ادق تعبير ، وكيف مثل الانسانية كلها تمثيلا صادقا جامعا شاملا ـ اذا كانت هذه الانسانية سليمة الطبع صحيحة الادراك :

« لا اله الا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم ، لا تدع لى ذنبا الا غفرته ، ولا هما الا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضى الا قضيتها يأرحم الراحمين » (٢) .

(١) رواه الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه .

(٢) رواه الترمذى وابن ماجة عن عبد ابن أبى أوفى .

ويقول فى دعاء آخر :

« اللهم ! أصلح لى دينى الذى هو عصمة امرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر » (١) .

الراحة التى لا تنتهى ، والسرور الذى لاينفد :

ما أحرص الانسان على الراحة واللذة ! غير انه قصير النظر ، فهو يطلب اللذة الفانية ويسعى للمسرة الزائلة ، والنبى صلى الله عليه وسلم يدرك ذلك فيعلم أمته من خلال ادعيته أن ما ينبغى أن يطلبه الانسان هو اللذة الباقية ، والراحة الدائمة ، والمسرة فى الحياة الآخرة ، ولذة النظر الى وجه الله الكريم ، والشوق الى لقائه ، فيقول :

« اللهم ! انى أسألك نعيما لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بالقضاء ، وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر الى وجهك ، والشوق الى لقائك»(٢)

الحقائق الأخلاقية والدقائق النفسيةفى الأدعية المأثورة :

ان الخلق الحسن أغلى نعمة بعد الايمان ، والذى

(١) رواه الامام مسلم رحمه الله عن أبى هريرة (رضى الله عنه)

(٢) المستدرك عن عمار بن ياسر (رضى الله عنه) .

www.abulhasanalinadwi.org

اخبر عن نفسه : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ما كان ليتغافل عن اهمية الأخلاق الكريمة والصفات النبيلة ، ويتغاضى عن خطورتها ودقتها ، ولذلك ترى ان مكارم الأخلاق والترغيب فيها والتشجيع عليها ، تشغل جزءا كبيرا من الأدعية المأثورة ، ويشتمل هـذا الجزء على الحقائق الخلقية ، والخلجات النفسية الدقيقة التى تناولها علماء الأخلاق والنفس ـ فعلا ـ دراسـة وتحليلا .

فاقرأ أولا دعاء له صلى الله عليه وسلم جامعا ، ثم اقرأ الأدعيـة المأثورة الأخرى التى تتنـاول الجوانب المتنوعة للخلق البشرى ، فيقول صلى الله عليه وسلم فى دعاء له أثناء قيامه بالليل :

« اللهم ! اهدنى لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها الا أنت ، وقنى سيىء الأعمال وسيىء الأخلاق ، لا يقى سيئها الا أنت » (١) .

حينما يشاهد الانسان صـورته فى المرآة ، يدرك اعتدال أعضائه ، واتزان جسمه ، وصدق قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » فلم يفت النبى صلى الله عليه وسلم ، أن يشعر أمته بهذه المناسـبة كذلك ، بأهمية الخلق الحسن ، فعلمها أن تدعو الله

(١) رواه النسائى عن جابر بن عبد الله (رضى الله عنه) .

لتحسين الباطن بجانب تحسين الظاهر ، فباجتماعهما يستحق البشر أن يكون خليفة الله فى الأرض ، فيقول صلى الله عليه وسلم وهو يرى صورته فى المرآة :

« الحمد لله ، اللهم ! كما حسنت خلقى فحسن خلقى » (١) .

ان « الحياة الطيبة » تحتاج فى تكاملها الى ايمان ، وصحة ، وخلق حسن ، فيقول صلى الله عليه وسلم فى دعاء له :

« اللهم ! انى أسألك صحة فى ايمان ، وايمانا فى حسن خلق » (٢) .

وفى دعاء آخر :

«وأسألك لسانا صادقا ، وقلبا سليما ، وخلقـا مستقيما » (٣) .

دقائق اخلاقية :

وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم بجانب هـذه الأدعية العامة المجملة التى تتصـل بمكارم الأخلاق

(١) رواه الامام أحمد فى مسنده عن أم سلمة (رضى الله عنها).
(٢) رواه الحاكم فى مستدركه عن ابى هريرة (رضى الله عنه)
(٣) رواه الامام الترمذى عن شداد بن أوس (رضى الله عنه).

www.abulhasanalinadwi.org

ومحاسن الأوصاف ، لبعض المحاسن الأخرى ـ وقد لفت بذلك انتباه الأمة للاهتمام بهذا الجانب العظيم ـ التى هى فى غاية الدقة والخطورة ، وهى بمنزلة المقياس لتكامل الأخلاق ، فمما يدل على كمال الأخلاق والانسانية ، والشرف والكرامة ، والورع والتقوى ، أن يرزق الانسان حب الفقراء والمساكين ، فقد كثر من يجلون الثروة وذويها ويكرمون الدنانير والدراهم وأهلها ، أما الذين يحبون الفقراء والمساكين ، ويعطفون على ذوى الحاجة ، فهم فى قلة وندرة ، الا من وفقه الله وهداه الى مسالك الخير ، يقول صلى الله عليه وسلم فى دعائه :

« اللهم ! انى أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات وحب المساكين » (١) .

قد اعتاد الانسان أن يستكبر نفسه ، ويستصغر غيره ، ولم يسلم من هـذا الداء الا أولئـك الأفذاذ المخلصون الذين عصمهم ربك ، فتزكت نفوسـهم ، وتنزهت قلوبهم ، والتأمل فى ذلك يؤدى الى أنه قد شذ من يسـلمون من داء الاستكبار والاعجاب ، فان ذلك يتمكن من النفس من حيث لا يشعر بنو آدم ، وبألوان وأشكال لا يدركها البشر ، ولكى يسـلم منه الانسان يحتاج الى العناية البالغة والاهتمام المتواصل

(١) رواه الحاكم فى مستدركه عن ثوبان (رضى الله عنه) .

بالدعاء ، فان ادراك هذا الداء وتشخيصه صعبان ، والشفاء منه شىء غير يسير ، ولذلك فسيد المخلصين يدعو لنفسه ـ ويعلم أمته أن تدعو لنفسها :

« اللهم ! اجعلنى صـبورا ، واجعلنى شـكورا ، واجعلنى فى عينى صغيرا ، وفى أعين الناس كبيرا »(١) .

ان اتحاد الظاهر والباطن ، وصلاحهما من نعم الله العظمى ومن فضل الله الكبير ، الذى يحتاج الحصـول عليه الى العناية الزائدة بالدعاء المخلص ، يقـول معلم الأخلاق صلى الله عليه وسلم :

« اللهم ! اجعل سريرتى خيرا من علانيتى ، واجعل علانيتى صالحة »(٢) .

ويفصل صلى الله عليه وسلم ذلك فى هذا الدعاء :

« اللهم ! طهر قلبى من النفاق ، وعملى من الرياء ، ولسانى من الكذب ، وعينى من الخيانة ، فانك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور » (٣) .

التعبير عن القلب :

وقد ناب النبى النبى صلى الله عليه وسلم فى دعائه

(٢) جاء فى كنز العمال عن بريدة (رضى الله عنه) .

(٣) رواه الترمذى عن سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه)

(٤) « كنز العمال » عن أم سعيد (رضى الله عنها) .

www.abulhasanalinadwi.org

كل انسان عن كل ما يحتاج اليه ، بأكمل ما يكون النيابة فسيجد كل انسان فى كل زمان ومكان ، الى يوم يرث فيه الله الأرض ومن عليها ، تعبيرا عن قلبه ، وتمثيلا لعواطفه ومشاعره ، وأسباب ارتياح لقلبه ، وطلبا لحاجات قلما تخطر ببال عامة البشر ، اقرأ هذا الدعاء على سبيل المثال :

« اللهم ! انى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء ، والأدواء ، نعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم (١) ومن جار السوء فى دار المقامة ، فان جار البادية يتحول ، وغلبة العدو ، وشماتة الأعداء ، ومن الجوع ، فانه بئس الضجيع ، ومن الخيانة ، فانها بئست البطانة ، وأن نرجع على أعقابنا ، أو نفتن عن ديننا ، ومن الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ومن يوم السوء ، ومن ليلة السوء ، ومن ساعة السوء ، ومن صاحب السوء »(٢)

طلب السعة فى الرزق عند كبر السن :

كل واحد منا يحتاج الى الرزق ، غير أنه كم منا من يدرك أن السعة فى الرزق ، والرغادة فى العيش، يحتاج

(١) جاءت هذه الفقرة نيابة عن من يدعون من الامة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام .
(٢) الترمذى عن أبى امامة (رضى الله عنه) .

اليهما الانسان ـ بأشد ما يكون الاحتياج ـ حينما يجتاز آخر مرحلة من مراحل حياته ، فلا يقدر على تحمل المشاق ومعالجة العسر ، ويفقد القدرة على كسب المعاش ، وتعجز قواه عن الكد والاجتهاد ، فيروح حريصا على الراحة وسعادة العيش وسعة انرزق ، فانظر كيف يدعو لذلك معلم الحكمة صلى الله عليه وسلم :

« اللهم ! اجعل أوسع رزقك على عند كبر سنى وانقطاع عمرى » (١) .

طلب صلاح آخر العمر ، وسعادته وفلاحه :

ولم يكتف صلى الله عليه وسلم بطلب السعة فى الرزق فى آخر العمر ، بل دعا أن يسود هذه المرحلة الباقية من العمر ، خير من كل جانب ، وان تكون آخر المراحل أسعدها ، وأفلحها ، وأصلحها ، فيقول :

« واجعل خير عمرى آخره ، وخير عملى خواتيمه ، وخير أيامى يوم ألقاك فيه » (٢) .

طلب فجأة الخير وسؤال النجاة من فجأة الشر :

ما من شك فى أن الخير والنعمة من ملاك السرور

(١) رواه الحاكم فى المستدرك عن عائشة (رضى الله عنها) .
(٢) رواه الطبرانى عن أنس (رضى الله عنه) .

www.abulhasanalinadwi.org

والراحة ، الا أن الخير الذى يصيب الانسان فجأة ، ويساق اليه بغتة ، يجلب سرورا يفوق الوصف ،ومن هنالك فاذا كانت الشرور والفتن مما تجب منه الاستعاذة والاستخلاص مرة ، فالشر الذى يفاجا الانسان وينوبه مصادفة ، تجب الاستعاذة منه مائة مرة ، والذين جابهوا ذلك وجربوه ، يعرفونه جيدا ، فكم منا من يتذكر خطورة هذا الأمر وهوله فيستعيذ منه ، ولم يفت النبى صلى الله عليه وسلم أن يذكر ذلك فى دعائه :

« اللهم ! انى اسألك من فجأة الخير وأعوذ بك من فجأة الشر » (١) .

الاستعاذة من زوال النعمة بعد حصولها :

وكذلك الفقر والاحتياج بعد العيش السعيد والرزق الرغيد ، والعسر بعد اليسر ، مما تجب الاستعاذة منه ، فان ذلك ابتلاء شديد ، ومحنة خطيرة وقد دعا له صلى الله عليه وسلم بكل عناية :

« اللهم ! انى أعوذ بك من وزال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجأة نقمتك »(٢) .

(١) أخرجه النووى فى « كتاب الاذكار » عن انس (رضى الله عنه) .

(٢) رواه مسلم وابو داود عن عمرو بن العاص (رضى الله عنه)

الاستعاذة من أرذل العمر :

ان طول العمر مما طلبه الانسان دوما منذ اليوم الأول ، وقد جرت العادة أن يدعو البعض للبعض لطول العمر والبركة فى الحياة ، لكن طول العمر الذى يفقد القوى ، ويجعل الانسان عاجزا عاطلا كلا على غيره ، شىء تجب الاستعاذة منه ، فيدعو النبى ربه .

« اللهم ! انى أعوذ بك من العجز ، والكسل ، والجبن ، والهرم ، ومن أن أرد الى أرذل العمر » (١) .

الاستعاذة من نفس حريصة لا تشبع ،

ومن علم عقيم لا ينفع :

الأموال ، يراها الانسان كفاية ، واكبر شىء فى الحياة ، ولا يذكر أن الكثرة الكاثرة ، والكمية الكبرى من الثروة لا تكفى لنفس حريصة والنفس التى لاتشبع انها لمصيبة للانسان نفسه ، وللعالم كله ، ولذلك فاستعاذ منهما الحكيم الربانى صلى الله عليه وسلم وأوصانا بالاستعاذة ، كذلك العلم الذى لم يكسب صاحبه الخشية والتقى ، ولم ينفع الناس . والقلب الجرىء الذى حرم خشية الله ، وتجرد من خوف خالقه ، كل ذلك تجب الاستعاذة منه ، والتحصن منه ،

(٢) رواه الشيخان فى صحيحيهما .

www.abulhasanalinadwi.org

فقد جنى على الانسانية ما لم يجن عليها الأعداء ، وقد حوى النبى صلى الله عليه وسلم كل ذلك فى دعاء واحد :

« اللهم ! انى أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ودعاء لا يسمع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن علم لا ينفع ،أعوذ بك من هؤلاء الأربع » (١) .

بعض الحوائج الأساسية والجذرية فى الحياة :

ان من الحوائج الجذرية الواقعية التى لا معدى للبشر عنها ـ لكى يحيى حياة سعيدة ـ هى الدار الواسعة مع الرزق الواسع ، أنها حاجة لم تقل أهمية فى أى فترة من الزمان ، أما فى الحياة المعاصرة فقد أصبحت تشكل مشكلة كبيرة، وأصبحت من أهم متطلبات الحياة ، غير أنه يجب أن لا يفوتنا أن نتذكر أن سعة الدار ليست كل العلاج ، وانما هو كفايتها لأهلها ، وشعورهم بسعتها ، فلو عدم الشعور بسعتها ، لما كفت أوسع دار لطبع طموح ونفس طماعة ، وعدم هذا الشعور والطمأنينة والرضى ، هو السر وراء مشكلات الحضارة الحاضرة ، ونظم الاقتصاد المعاصرة التى تستعصى على المعالجة ، ولذلك فالنبى الحكيم صلى الله عليه وسلم يسأل ربه « السعة فى الرزق »

(١) رواه الترمذى والنسائى عن عبد الله عمرو بن العاص (رضى الله عنهما).

و « السعة فى الدار » مكان « سعة الرزق » و « سعة الدار » ، والفرق بينهما واضح لكل خبير :

« اللهم ! اغفر لى ذنبى ، ووسع لى فى دارى ، وبارك لى فى رزقى » .

التعبير عن حاجيات المسافر ومشاعره :

السفر من الحوائج التى لابد منها للانسان ، والمسلم ـ بحكم المركز الذى يحتله فى الكون ـ يجب أن لا تخلو أى خطوة منه بل وأى تحرك منه ، من الدعاء والاستخارة ، وطلب البر والنجاح ، فالسفر الذى هو من أهم الخطوات ، يجب أن يكون مشفوعا بكمية كبرى من الدعاء وطلب الخير ، وسؤال الصلاح والفلاح ، فالمسافر يترك داره وأهله ، ويصادف سفرا طويلا ، وأمكنة جديدة ، وأناسا لا يألفهم ، ويقضى مدة فى هجرة من أهله ، وبعد عن وطنه ، ويموج قلبه بخليط من الآلام والآمال ، ويساوره الحزن على ما تركه من ورائه من الوطن والأهل والمال ، وتخالطه الأمانى فيما يستقبله ثم العناية بالسفر ، والتأهب له ، ومتاعبه ومشاقه ، وبعد المنزل ، والاهتمام بالأهداف ، والحنين الى الغايات ، والتطلع الى الأغراض ، كل ذلك يقلق قلبه ، ويشوش ذهنه ، وهو ـ لكى يفوز بالنجاح ـ يحتاج فى كل مرحلة من هذه المراحل ، الى نصر الله ونجدته ، وعونه وعصمته .

www.abulhasanalinadwi.org

فانظر كيف جاء التعبير جامعا شاملا عن كل هذه الحوائج والأحاسيس فى هذا الدعاء الموجز ، الذى سوف لا يمكن أحدا من البشر ــ مهما تمتع بذكاء وافر، واعمل فكره العميق ــ أن يأتى بدعاء أشمل منه وأكمل، وأجمل ، وأدل :

« اللهم ! انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى ، اللهم ! هون علينا سفرنا هذا ، واطوعنا بعد الأرض ، اللهم ! أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل ، اللهم ! انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب فى الأهل والمال »(١)

غير أنه ليس السفر هو الذى يستحق العناية بالدعاء ، بل ينبغى للمسافر أن يطلب الخير والبركة كلما أتى مكانا جديدا ، ودخل مثوى جديدا ، فقد جاء فى الحديث الشريف أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكرر ثلاث مرات ، كلما دخل قرية : « اللهم ! بارك لنا فيها » ثم يقول : « اللهم ! ارزقنا ، جناها » وكل مسافر بصورة عامة ، والمسافر الذى يحمل دعوة ورسالة بصورة أخص ، يحتاج الى أن يحرز حب أهل القرية التى نزل بها ، لكى يرتاح ضميره ، ويطمئن قلبه ، ثم لكى تتمكن رسالته من القلوب ، الا أن المسلم

(١) رواه مسلم ، والترمذى ، وابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) .

تحتم عليه عقيدته ودينه أن لا يقصد الا حب أهل الصلاح والفلاح ، والدين والتقى ، ولذلك فيقول صلى الله عليه وسلم فى دعائه :

« وحببنا الى أهلها ، وحبب صالحى أهلها الينا » (١) .

الدعاء عند اقبال الليل والنهار :

ليس السفر أو المنزل هما اللذان يستحقان من المؤمن العناية بالدعاء والاستخارة ، لا ، بل يجب أن يطلب المؤمن ربه لدى اقبال كل ليل وادبار نهار وبالعكس ما فيهما من الخير والنفع ، ويستعيذ به مما فيهما من الشر والفتنة ، ويشهد بأنه هو المالك الحقيقى المطلق ، سائلا أن يجعل له الحظ الأوفر والنصيب اللائق مما فيهما من الصلاح والبركة والنجاح ، وينبغى أن يستحضر لدى كل تطور وتغير يمر به ، هذه الحقيقة الكبرى ، فقد جاء فى الحديث الشريف أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو كلما كان يمسى :

« أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله ، لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، رب أسألك خير ما فى هذه الليلة ، وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر ما فى هذه الليلة وشر ما بعدها ، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر ، رب

(١) رواه الطبرانى عن ابن عمر (رضى الله عنهما) .

www.abulhasanalinadwi.org

أعوذ بك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر » (١) .

« ويدعو حينما يصبح ، فيضع كلمة » أصبحنا وأصبح الملك لله ، مكان « أمسينا وأمسى الملك لله » ، وجاء فى حديث آخر دعاء بهذه الكلمات :

« اصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين ، اللهم انى أسالك خير هذا اليوم : فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه ، أعوذ بك من شر ما فيه ومن شر بعده » (٢) .

الاستعاذة من شر النفس :

لا شك فى أن أخوف ما يجب أن يخافه الانسان ، وأجدر ما يجب أن يستعيذ منه البشر ، هو شر نفسه ، فكل ما شهده العالم من فظائع الدمار والهلاك ، ومظاهر الوحشية والاستبداد ، ومن خسارة الدنيا والآخرة ، كل ذلك يرجع الى شر النفس » ، ولذلك فأكثر الرسول صلى الله عليه وسلم من الاستعاذة من هذا العدو الألد ، فقد جاء فى دعائه عند الصباح :

« اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ! أنت رب كل شيء ، والملائكة يشهدون أنك لا اله الا أنت ، فانا نعوذ بك من شر أنفسنا ومن شر

(١) أخرجه صاحب جمع الفوائد عن أبى مالك (رضى الله عنه)
(٢) رواه مسلم والترمذى وأبو داود عن ابن مسعود

الشيطان الرجيم وشركه وأن نقترف سوءا أو نجره الى مسلم » (١) .

وجاء فى دعاء آخر :

« اللهم ! قنى شر نفسى ، واعزم لى على رشد أمرى » (٢) .

وجاء فى دعاء آخر :

« يا حى يا قيوم ! برحمتك أستغيث ، أصلح لى شأنى كله ، ولا تكلنى الى نفسى طرفة عين » (٣) .

طلب الخشية واليقين :

ان ما يقف سدا منيعا ، وسياجا حديديا ، بين العبد وشر النفس والمعاصى ، هو خشية الله ، والذى يهون على العبد ضربة البلايا والرزايا ، ويخفف له اثر المآسى والمصائب ، هو اليقين ، فيقول صلى الله عليه وسلم :

« اللهم ! اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا » (٤) .

(١) جمع الفوائد عن أبى مالك رضى الله عنه .
(٢) رواه الترمذى عن أنس رضى الله عنه .
(٣) رواه أبو داود وابن عمر (رضى الله عنه) .
(٤) رواه الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنه .

www.abulhasanalinadwi.org

منطلق الشرور والمعاصى والاستعاذة منه :

ان منطلق هذه الشرور والمعاصى ، وانشط واقوى عامل من عواملها ، هو حب الدنيا ، انه منبع الخطيئات كلها ، فقد جاء فى الحديث الشريف : « حب الدنيا رأس كل خطيئة » . اما طبيعة النبوة فهى « اللهم ! لا عيش الا عيش الآخرة » و « ان الدار الآخرة لهى الحيوان » وقد جاء فى دعائه صلى الله عليه وسلم :

« ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا غاية رغبتنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا » (١) .

حب الله هو الدواء الوحيد لكل داء :

بالتأكيد ، ان الذى يسهل الدين ويحببه الى القلوب ، ويكره اليها العصيان والفسوق ، ويستخرج حب الدنيا من أعماقها ـ فتصبح كل عظمة فى الدنيا شيئا لا قيمة له ، وحينئذ فيفقد كل جميل فى الكون جماله وكل عظيم عظمته ـ والذى هو يثبت القلوب والأقدام لدى كل ابتلاء ومحنة ، هو حب الله الخالص من كل شائبة الا ! ان القلب الذى تمكن من هذا الحب، وتغلب على هذا الهيام لم يهب ـ ولن يهاب ـ أى جلال، ولم يأخذه ـ ولن يأخذه ـ أى جمال ، وقد تغنى

(١) رواه الترمذى والنسائى عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنه)

بذلك شاعر الاسلام الدكتور محمد اقبال فى شعره الأردى ، فقال :

« حب الله عجب فى عجب ، فانه يجعل القلب يستغنى عن العالمين بما فيهما »

ان العلاقة التى تقوم على اساس من الحدود والقيود ، والطاعة التى تفرضها الأوامر والنواهى ، لن تقوما مقام هذا الحب ، ولن تقوما بالدور الذى تقوم به هذه العلاقة ، فان القوانين ربما تؤدى الى اتخاذ « الباب السرى » و « المدخل الخلفى » ثم ان القوانين تأتى بالتأويلات ، وتأخذ الكلمات فتحملها مالا تحتمل ، ثم انها تمل ، فتضع السلاح ، اما الحب فلم يعرف التأويل والملل ، وبعد عن الكل ، وتعالى عن الاستكانة والاسترخاء ، فهو داء ودواء ، وان هؤلاء العشاق ـ كما قال الشاعر الفارسى ـ لا يبالون بوعورة الطريق ، بما أن الحب هو طريق ومنزل معا ، ولذلك فالنبى صلى الله عليه وسلم عنى بالدعاء لهذا الحب ابلغ العناية واكملها :

« اللهم اجعل حبك احب الى من نفسى واهلى ومن الماء البارد » (١)

وجاء فى دعاء آخر :

(١) الترمذى عن أبى الدرداء وعن معاذ (رضى الله عنهما) .

www.abulhasanalinadwi.org

« اللهم ! اجعل حبك أحب الأشياء الى ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندى ، واقطع عنى حاجات الدنيا بالشوق الى لقائك ، واذا أقررت عين أهل الدنيا من دنياهم ، فأقرر عينى من عبادتك » (١) .

وجاء فى دعاء آخر :

« اللهم ارزقنى حبك وحب من ينفعنى حبه عندك اللهم ! فكما رزقتنى مما أحب فاجعله قوة لى فيما تحب ، اللهم وما زويت عنى مما أحب فاجعله فراغا لى فيما تحب » (٢) .

طلب نصر الله وعونه وعطفه وكرمه :

بيد أن هذا الحب ، وهذه الطاعة ، والتوفيق للعبادة ، والذكر والشكر ، كل ذلك منوط بعطف الله وكرمه ، ويتوقف على اعانته ونصرته ، ولذلك فأوصى حبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم أحد أصحابه بهذه الكلمات التى تتدفق بالحب ، وتفيض بالحنان .

« يا معاذ ! والله انى لأحبك ، أوصيك يا معاذ !

(١) جاء فى « كنز العمال » عن ابى مالك (رضى الله عنه) .

(٢) رواه الترمذى عن عبد الله بن يزيد الانصارى (رضى الله عنه) .

لا تدعن فى دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » (١) .

شهادة القلب السليم :

هذه هى الأدعية المأثورة ـ التى ألقينا على نذر منها نظرة عابرة ـ يتجلى فيها ـ كل التجلى ـ نور النبوة ويقينها ، وحكمة الأنبياء وعلمهم ، وحبهم وعرفانهم ،وهى مزية الأنبياء كلهم عامة ، ومن سمات سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم خاصة ، وان القلب ـ اذا كان على فطرته الصحيحة التى فطره الله عليها ـ سيشهد كلما يمر بهذه الأدعية ، بأنها من كلام النبى المعصوم المصون صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عن الهوى أن هو الا وحى يوحى ، كما شهد القلب السليم فى صدر عبد الله بن سلام ـ رضى الله عنه ـ حينما وقع نظره على وجه النبى صلى الله عليه وسلم « والله ، هذا ليس بوجه كذاب » .

وقد شهد بالأمرين كليهما العارف الرومى ـ مولانا جلال الدين الرومى ـ فى شعره الفارسى :

« ان ألم القلب وجرحه اللذين يعانيهما العشاق لذة فى لذة لمن يعرف حقيقة هذا الألم ، وان كلام النبى ووجهه كليهما معجزة من المعجزات »

(١) رواه أبو داود والنسائى عن معاذ بن جبل (رضى الله عنه)

www.abulhasanalinadwi.org